Assessment of Heritage Preservation Projects in The Old City of Damascus from The Perspective of International Conventions and Standards

Najia Taher Ramadan
U19105983@sharjah.ac.ae
Dr. Monther Jamhawi
University of Sharjah -College of Engineering -Architectural Engineering Department - United Arab Emirates
Jordan University of Science and Technology – College of Architecture and Design - Jordan
mjamhawi@sharjah.ac.ae ; mjamahwi@just.edu.jo
Dr. Aref Maksoud
University of Sharjah -College of Engineering -Architectural Engineering Department - United Arab Emirates
amaksoud@sharjah.ac.ae

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v1i142.3650

Abstract

The Old City of Damascus is distinguished by its many souks, ancient neighborhoods, mosques, churches, khans, and cobbled streets. Although the state has implemented many projects to preserve the cultural heritage in Old Damascus, no study has been conducted to assess the extent to which these projects comply with the directives of cultural heritage charters and standards. Therefore, this research came as a master's thesis to discuss some urban heritage preservation projects in the old city of Damascus and evaluate them from the perspective of international charters and standards, to know the problems resulting from the methods and methodologies used in the preservation process, and to provide an information database on evaluating the conservation methods used in Old Damascus. A group of projects was selected, like, Ancient Damascus without Cars, Medhat Pasha Market restoration, Beit Nizam (Nizam House), Beit Kuwatli, and Beit Sibai, after evaluation according to the criteria, the study reached several results, the most important of which is the need to preserve the relationship between Old Damascus within the walls and its surroundings. The research recommends the necessity of linking the directorates responsible for Old Damascus and developing a comprehensive and integrated revival plan based on international standards.

Keywords: Ancient Damascus without Cars, cultural heritage charters and standards, Old Damascus, Urban heritage.

تقييم مشاريع الحفاظ على التراث العمراني في مدينة دمشق القديمة من منظور المواثيق والمعايير الدولية

الباحثة ناجية طاهر رمضان
طالبة ماجستير– قسم الهندسة المعمارية_ جامعة الشارقة
U19105983@sharjah.ac.ae

د. منذر جمحاوي
قسم الهندسة المعمارية– كلية الهندسة– جامعة الشارقة– الإمارات العربية المتحدة
جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية– كلية العمارة والتصميم – الأردن
mjamhawi@sharjah.ac.ae

د. عارف مقصود
قسم الهندسة المعمارية– كلية الهندسة– جامعة الشارقة– الإمارات العربية المتحدة
amaksoud@sharjah.ac.ae

(مُلَخَّصُ البَحث)

تمتاز مدينة دمشق القديمة باحتوائها على العديد من الأسواق والأحياء العريقة والمساجد والكنائس والخانات والشوارع المرصوفة، وتمتاز بأوابدها أابنيتها التي تعكس أسلوب العمارة الدمشقية، لذلك تهتم الجهات السورية المسؤولة بحمايتها وإقامة مشاريع لحفظها. وعلى الرغم من تنفيذ الدولة للعديد من مشاريع الحفاظ على الموروث الثقافي في دمشق القديمة إلا أنه لم يتم إجراء أي دراسة لتقييم مدى توافق هذه المشاريع مع توجيهات وأسس المواثيق والمعايير الدولية. لذلك جاءت هذه الدراسة كرسالة ماجستير لتناقش بعض مشاريع الحفاظ على التراث العمراني في مدينة دمشق القديمة، وتقييمها من منظور المواثيق والمعايير الدولية لمعرفة المشاكل الناتجة عن الأساليب والمنهجيات المتبعة في عمليات الحفظ وتوفير قاعدة بيانات معلوماتية حول تقييم أساليب الحفظ المتبعة في دمشق القديمة. وقد جرى اختيار مجموعة من المشاريع وهي مشروع دمشق القديمة بدون سيارات، ومشروع ترميم سوق مدحت باشا، ومشروع ترميم بيت القوتلي، وبيت السباعي، وبيت نظام، وتم اعتماد مجموعة من معايير التقييم التي تناولت بعضها التدخلات الفنية والمواد المستخدمة وبعضها الآخر التدخل والحفاظ. وقد توصلت الدراسة بعد التقييم وفقاً للمعايير إلى نتائج عدة، أهمها الحاجة الى الحفاظ على العلاقة بين دمشق القديمة داخل الأسوار ومحيطها. ويوصي البحث بضرورة الربط بين المديريات المسؤولة عن دمشق القديمة، ووضع خطة إحياء شاملة ومتكاملة مبنية على المعايير الدولية.

الكلمات المفتاحية: التراث العمراني، المواثيق والمعايير الدولية، دمشق القديمة، مشروع دمشق القديمة بدون سيارات.

١. المقدمة

مدينة دمشق هي العاصمة السياسية لسوريا، وتسمى المنطقة التاريخية فيها بدمشق القديمة وتقع داخل أسوارها القديمة، أنظر شكل رقم (١)، وتأسست المدينة في القرن الثالث. ق م. وتعد شاهد حي على الحضارات السابقة ، وتعد من أقدم المدن المأهولة باستمرار في العالم وبحكم موقعها الجغرافي على مفترق طرق القوافل بين الشرق والغرب وبين أفريقيا وآسيا كانت مركزاً تجارياً وثقافيا مهماً، وتعكس المدينة القديمة شواهد بارزة على الحضارات السابقة مثل الهلنستية، والرومانية، والبيزنطية، والإسلامية. (UNESCO، ١٩٧٩)

تحتوي دمشق القديمة على العديد من الأسواق والأحياء العريقة والمساجد والكنائس والخانات والشوارع المرصوفة، وتمتاز بأوابدها وأبنيتها التي تعكس أسلوب العمارة الدمشقية، لذلك تهتم السلطات السورية بحمايتها وإقامة مشاريع لحفظها لكن بالرغم من المحاولات للحفاظ عليها وعلى عناصرها، إلا أن المدينة القديمة الى اليوم تعاني من آثار غير مباشرة للنزاع المسلح الذي بدأ في ٢٠١١ في سوريا، وأهم هذه الآثار هي الضغط السكاني الذي أدى الى الضغط على البنية التحتية وخاصة شبكة الصرف الصحي، فيقوم السكان بمعالجة المشكلة عن طريق رفع مستوى الأرضية في منازلهم أو بطرق أخرى لا تتوافق مع أسس الحفاظ والحماية، أيضا زادت أعمال الترميم العشوائية في البيوت السكنية وفي بعض الحالات تم استخدام المواد الحديثة لأن المواد التقليدية أصبحت مكلفة ونادرة في السوق، وأيضا عدم وجود المخطط العام للمدينة القديمة الى الآن يمثل الصعوبة الرئيسية في تنفيذ خطط الترميم. (Directorate General of Antiquities & Museums، ٢٠١٩)

تعرضت المدينة القديمة ومنطقتها العازلة الى عدة حرائق، ففي عام ٢٠١٦ و٢٠١٧ اندلعت عدة حرائق في تواريخ مختلفة وفي أماكن مختلفة مثل حريق في المحلات التجارية في سوق باب الجابية، وسوق الحميدية، وشارع الملك فيصل، وفي ساروجة مما أدى الى تدمير بعض المحلات بشكل كامل، بعض هذه الحرائق كانت بسبب ماس كهربائي وبعضها يبدو كان مفتعلاً، وتم إعادة بناء المحلات المتضررة بهدف إعادة تشكيل الصورة التاريخية، ولكن في الواقع، في أماكن معينة، تم استخدام مواد وتقنيات بناء تتعارض مع المواد التقليدية أنظر شكل (٢). (Directorate General of Antiquities & Museums، ٢٠١٨)

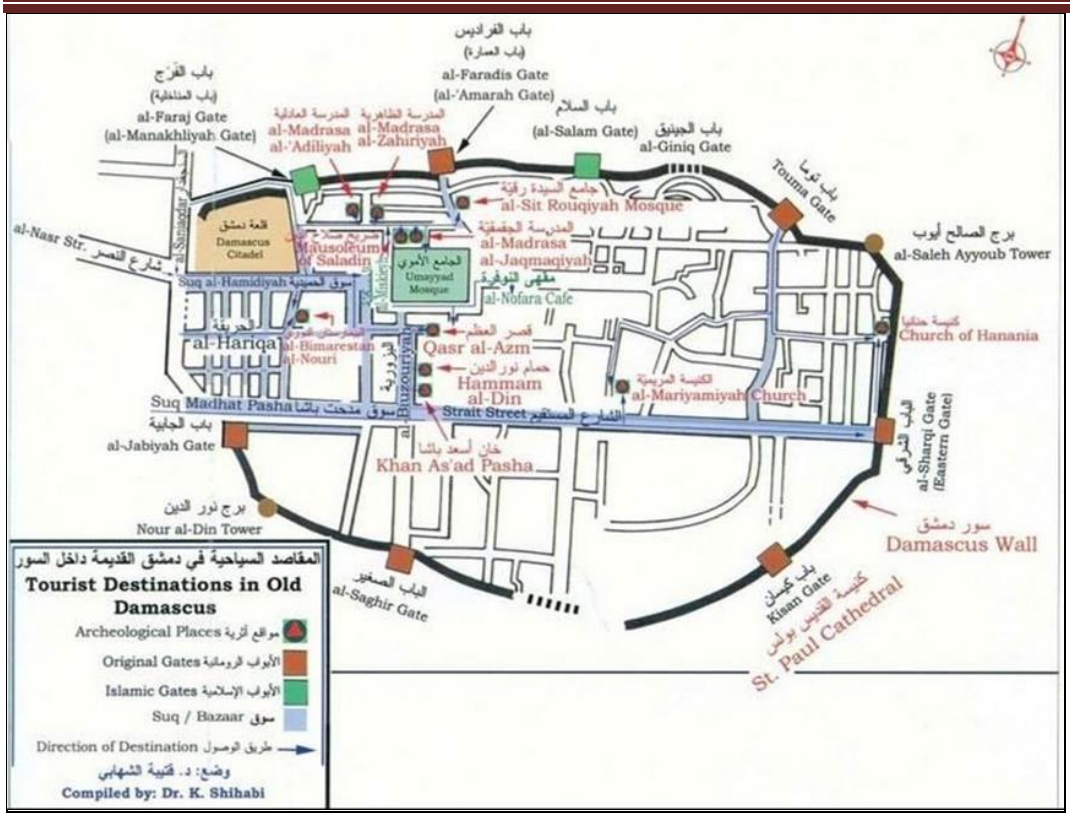

شكل (1) خريطة دمشق القديمة داخل الأسوار

المصدر:(صور من دمشق، .(2017)

شكل(٢) استخدام مواد البناء الحديثة في مشروع ترميم الأضرار التي لحقت بسوق الحميدية

المصدر.(Directorate General of Antiquities & Museums, 2017):

وجرى تنفيذ العديد من مشاريع الحفاظ على الموروث الثقافي في دمشق القديمة، إلا أن النزاع المسلح الذي اندلع في سوريا منذ نهاية ٢٠١٠ قد أثر وبشكل كبير على النسيج الحضري التاريخي للمدينة وفقدت الكثير من معالمها المعمارية المهمة.

٢. مشكلة الدراسة:

بالرغم من جهود الدولة للحفاظ على الموروث الثقافي في دمشق القديمة إلا أنه لم يتم تقييم مدى توافق مشاريع حفظ التراث العمراني في مدينة دمشق القديمة من مطلع القرن الحالي مع توجيهات وأسس المواثيق والمعايير الدولية. كما وضع الباحثون أربعة أسئلة رئيسة تفرع منها أسئلة فرعية تمت الإجابة عليها في البحث وهي:

أولا: ما الخطوات التي اتبعت في أعمال الحفظ في مرحلة الدراسات والتنفيذ والاستخدام في دمشق القديمة؟ .

ثانياً: ما تقييم أعمال الحفظ التي أنجزت في الحالات المختارة من منظور المتخصصين والمستخدمين؟

ثالثا: ما مدى التزام المنفذين لأعمال الحفظ في الحالات المختارة بتوصيات المواثيق الدولية؟

رابعاً: هل هنالك استمرارية لأعمال الإدارة والحفاظ على دمشق القديمة كونها موقع تراث عالمي؟

٣. أهداف الدراسة:

سعت الدراسة الى تحقيق الأهداف الآتية :

١. تسليط الضوء على التجارب المحلية في عمليات الحفظ والأساليب المتبعة الصحيحة لتصبح مرجعا للمعلومات المتعلقة بالحفاظ على التراث العمراني.
٢. مقارنة بين التجارب العربية للحفاظ على المدن التاريخية.
٤. دراسة وتقييم المشاريع التي جرت في دمشق القديمة بناء على المعايير والمواثيق الدولية.
٥. معرفة المشاكل الناتجة من الأساليب والمنهجيات المتبعة في عمليات الحفظ لوضع الحلول المناسبة لتخطيها.
٦. توفير قاعدة بيانات معلوماتية حول تقييم أساليب الحفظ المتبعة في دمشق القديمة ووضع توصيات لاتباعها في دمشق القديمة حسب المعايير والمواثيق الدولية.

٤. أهمية الدراسة:

في ظل أهمية التراث العمراني السوري وكمية المشاريع التي تنفذ للحفاظ عليه وعدم وجود دراسات تقييمية سابقة للمشاريع مبنية على المعايير والمواثيق الدولية، إذ تكمن أهمية البحث بأنه سيكون الأول من نوعه لتقييم مدى موافقة أعمال الحفاظ المقامة مع المواثيق والمعايير الدولية.

ايضاً النزاع المسلح في سوريا الذي بدأ في ٢٠١١ أحداثه مواتية لضرورة القيام بمثل هذا البحث لتكون توصياته تهدف إلى تحسين المشاريع المستقبلية وإعادة تأهيل المدينة القديمة بعد الحرب.

٥. منهجية الدراسة:

تم اعتماد الإطار النظري للدراسة ويحتوي الإطار على المعلومات النظرية المتعلقة بمفهوم الحفاظ على التراث العمراني ومستويات التدخل والمواثيق والمعايير الدولية، وتم استخدام المنهج الوصفي في دراسة التأهيل والحفاظ المعماري، والإطار المعلوماتي للدراسة عن طريق استخدام المنهج الوصفي التحليلي والقيام بالدراسات الميدانية والمقابلات للحصول على البيانات حول الأساليب المتبعة في الحفاظ على التراث العمراني في دمشق القديمة ، ودراسة حالات دراسية مشابهة في الدول العربية، والإطار التحليلي التقييمي ويضم الإطار تحليل المعلومات السابقة وتقييم عمليات الحفاظ بناءً على الإطار النظري والاستبيانات والمقابلات للتوصل الى توصيات تساعد أصحاب العلاقة في عمليات الحفاظ على التراث العمراني.

٦. الحفاظ على التراث العمراني من منظور المراجع الأدبية

يُعد التراث العمراني واحداً من أنواع التراث الثقافي، وتتعدد التعريفات التي تناولت هذا المفهوم وأشهرها تعريف منظمة الإيكوموس الذي ذكره الزهراني (٢٠١٢) بأنه : كل ما شيده الانسان من أحياء تاريخية أو ثقافية أو مدن وقرى.

وعرف التراث العمراني في ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته في المادة الأولى بأنه: كل ما بناه الإنسان من أحياء ومبان وقرى ومدن وحدائق تحمل قيمة عمرانية، أو معمارية، أو أثرية، أو تاريخية، أو علمية، أو اقتصادية، أو ثقافية، أو وظيفية.

وهنالك العديد من المصطلحات المرتبطة بعناصر التراث العمراني كالأثر العمراني وهي المباني التي تحمل أهمية تاريخية أو معمارية أو دينية مثل الأبراج القديمة والمساجد، والمدينة التاريخية ويقصد بها المدينة التي تحتفظ الى اليوم بالطرز الفنية والمعمارية وتحمل في تفاصيلها تاريخ الماضي، والأحياء القديمة ويقصد بها الأحياء التي تكون جزءا من المدن الحديثة التي شاع فيها العمران الحديث، والقرية التقليدية ويقصد بها القرية التي تحتفظ بسماتها وعناصرها التقليدية الرئيسة ولم تختلط مع العمران الحديث. (الزهراني، ٢٠٢١)

يوجد عدة إجراءات ومستويات تدخل يتم اتخاذها لضمان حماية وحفظ الممتلكات الثقافية والتراث العمراني، وليس بالضرورة أن يتم إجراء جميع المستويات في المبنى الواحد إنما يجب التركيز على أن يتم القيام بأقل نسبة تدخل في عمليات الحفظ، لذلك سنسلط الضوء على مشاريع الحفاظ على التراث العمراني التي تقسم إلى عدة مستويات مثل عمليات التوثيق والترميم وإعادة التأهيل أو الاستخدام وإعادة البناء التاريخي.

٧. مشاريع الحفاظ على التراث العمراني

حسب ما أورده Bernard Feilden في كتابه " Conservation of Historic Buildings" (٢٠٠٣)، فقد قسم مستويات التدخل في الحفاظ على التراث العمراني الى سبعة مستويات مرتبة تصاعديا حسب الأولوية وحاجة المبنى الى الإجراء كالآتي؛

أولا: الوقاية وتعرف وقاية الممتلك الثقافي بأنه نوع من أنواع التدخل غير المباشرة عن طريق التحكم بالبيئة المحيطة بالمبنى مثل المراقبة والصيانة الدائمة لتجنب وقوع مسببات التلف كالتحكم في الرطوبة ودرجات الحرارة والإضاءة داخل المبنى والقيام بالتنظيف الدائم، والتحكم في الاهتزازات الناتجة عن حركة المركبات ومراقبة المياه وغيرها واتخاذ التدابير اللازمة لمنع الحرائق والسرقة والتخريب.

ثانياً: الحفاظ وهي الإجراءات التي يتم اتخاذها لإبقاء الهيكل وعناصره ومواده في حالة مستقرة مع العمل على ابطاء أو الحد من التدهور المحيط، ويكون الحفظ صحيحا عندما يكون الهيكل يشكل دليلا على دلالته الثقافية.

ثالثاً: التقوية وهي عملية تطبيق لواصق أو مواد تدعيمية أو مواد مقوية يتم حقنها داخل مادة الأثر الأصلية بهدف ضمان سلامتها، ويعتبر استخدام مواد وأساليب تقليدية امراً مهماً، أما إذا ثبت عدم قدرتها وملاءمتها لتحدي الظروف المستقبلية فيتم اللجوء الى الأساليب الحديثة، بشرط ان تكون قابلة للاسترجاع.

رابعاً: الترميم ويعرف بأنه الإجراء الذي يتم اتخاذه للمحافظة على القيم التاريخية والجمالية للمعلم وإبرازها عن طريق إعادة شكل المبنى التاريخي أو أحد أجزائه الى حالته التي كانت معروفة سابقا، ويجب أن تكون هذه العملية مبنية على بحث شامل مسبق واحترام مادة البناء الأصلية والتدخلات السابقة وتتبع المعايير العالمية وأن تكون أي إضافات حديثة مميزة عن القديم وتحمل طابع عصري وتستند على الوثائق التاريخية ويجب ان تتوقف أي أعمال إضافية عند بدء التخمين.

خامساً: التأهيل وتعرف إعادة التأهيل بالإجراءات التي يتم اتخاذها مثل الإصلاح والتغييرات الداخلية أو الخارجية لإتاحة استخدام مناسب للمبنى سواء بوظيفته السابقة أو وظيفة جديدة تتلاءم معه، مع الحفاظ على الملامح الرئيسة التي تعبر عن قيمه الثقافية والتاريخية والمعمارية.

سادساً: إعادة التكوين وهي عملية نقوم بها بنسخ عمل فني أو ممتلك ثقافي عن طريق استكمال أجزاء مفقودة متدهورة منه للحفاظ على تناسقها الجمالي والفني، كما ينطبق هذا الاجراء على الممتلكات الثقافية المهددة بالخطر مما يتطلب نقلها لمكان آخر، مثال على ذلك هو نقل تمثال الى داخل المتحف او نقل مبنى الى مكان آخر.

سابعاً: إعادة البناء التاريخي وهي العملية التي يتم من خلالها القيام بأعمال إنشاء جديدة إما كلية أو لأجزاء معينة لإظهار المبنى بصورة كان عليها مسبقا، في نفس موقعه القديم، تتشابه عملية إعادة البناء التاريخي مع عملية الترميم من حيث كونهما يهدفان الى إعادة المبنى للمظهر الذي كان عليه في فترة سابقة، وتختلف إعادة البناء عن الترميم بأن العناصر المتبقية في المبنى التاريخي تكون قليلة جدا أو معدومة وذلك يؤدي الى حدوث أخطاء عند التدخل بسبب الدلائل غير الكافية، فلذلك هذا التدخل نادرا ما يتم الرجوع إليه وفي حال تم استخدامه يجب تمييز أي أعمال إضافية عن العناصر المتبقية إما عن طريق تغيير اللون أو الشكل أو المادة مع المحافظة على التناغم بينهم. (Feilden، ٢٠٠٣)

شملت التوصيات والمبادئ الصادرة عن المواثيق والمعايير الدولية مواد ونقاط فنية تخص مستويات التدخل لذلك كان من الضروري أن نسلط الضوء عليها لأن اتباعها يضع الأسس التي تجعل أعمال التدخل والحفاظ متفق عليها عالمياً.

٨. المواثيق والمعايير الدولية

أولت المنظمات الدولية المختصة بحماية التراث الثقافي اهتماما كبيرا للحفاظ على التراث الثقافي عن طريق العمل على وضع قواعد وقوانين تتمثل بالمواثيق والاتفاقيات والتوصيات الصادرة عن المنظمات الدولية منذ أكثر من نصف قرن، ولم تقتصر قوانين حماية التراث الثقافي في فترة السلم فقط، بل شملت فترات الحروب والنزاع المسلح وأيضا شملت أيضا حماية التراث الثقافي غير المادي الى جانب التراث المادي (المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية ICCROM، ٢٠١٩). وأهم المواثيق والتوصيات المتعلقة بموضوع البحث والتي ركز عليها الباحثون في التقييم التالي؛

(١) ميثاق أثينا ١٩٣١.

(٢) الميثاق الدولي للحفاظ على المعالم والمواقع وترميمها (ميثاق البندقية ١٩٦٤) .

(٣) توصيات اليونيسكو المتعلقة بحماية المناطق التاريخية لعام ١٩٦٧.

(٤) اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي ١٩٧٢م.

(٥) ميثاق ايكوموس أستراليا للاماكن ذات الدلالة الثقافية (ميثاق بورا ٢٠١٣).

(٦) ميثاق الحفاظ على المدن والمناطق العمرانية التاريخية (ميثاق واشنطن ١٩٨٧).

(٧) ميثاق إيكوموس: مبادئ التحليل والحفاظ والترميم الانشائي للتراث المعماري (٢٠٠٣).

(٨) مبادئ فالتيا لصون المدن والحواضر والمناطق الحضرية التاريخية وإدارتها.(2011)

(٩) ميثاق لحماية وإدارة التراث الأثري (١٩٩٠).

(١٠) ميثاق إيكوموس حول تفسير مواقع التراث الثقافي وعرضها. (٢٠٠٨)

(١١) توصيات المشهد الحضري التاريخي (٢٠١١).

٩. التراث العمراني في الوطن العربي

تعاني أغلبية المباني التاريخية في الوطن العربي من الإهمال وقلة الصيانة على الرغم من وجود القوانين والتشريعات، إلا في حالات قليلة عندما يكون المنزل ملكاً لعائلة أو يكون المبنى ملكاً لمؤسسة أو شركة، فغالبا في الوطن العربي لا يتم الاهتمام بالصيانة الدورية للمبنى، إنما يتم الاكتفاء بالقيام بالصيانة العلاجية عندما يكون المبنى قد وصل لمراحل خطرة وعلى وشك الانهيار، فلذلك عرف الوطن العربي بتدني مستوى معرفته الثقافية مقارنةً بالعالم الغربي، فكانت تقتصر أعمال الحفاظ على التراث والوعي بأهميتها بالندوات والمؤتمرات أما الواقع كان بعيدا عن تطبيقها (عتمة، ٢٠٠٧).

أغلب المدن التاريخية في الوطن العربي تعاني من مظاهر التحديث بحيث يتم استخدام وسائل بشكل مشوه لها مثل اضافة أسلاك الهواتف والكهرباء، ومظاهر الإهمال بسبب نقص أعمال الصيانة التي تسبب العديد من المشاكل الانشائية والبيئية في المبنى، كما تعاني من التعدي على الأبنية التاريخية بحيث يعيد استخدامها بوظائف مناقضة لوظيفة المبنى الأصلية مما يتطلب إضافة عناصر دخيلة أو تقسيم المبنى، أيضا بسبب عدم توفر مساحات لمواقف السيارات داخل المدينة القديمة يقوم السكان بإدخال سياراتهم إلى الشوارع الضيقة والتسبب بالاختناقات المرورية والتلوث (جوهر، ٢٠١٦).

والجدير بالذكر أن أسباب هذا التدهور والإهمال في المدن التاريخية يعود أولاً : إلى عدم فهم القيمة الفنية والتاريخية للمنطقة، وخاصة إذا لم تكن تعود للسكان بفائدة فذلك لن يشجعهم على الحفاظ عليها، ونزوح السكان الأصليين الى المناطق الحديثة، وثانيا : بسبب التضارب بين الجهات المسؤولة عن المدينة التاريخية ونقص في التشريعات والمخالفات وغياب الإشراف والتخطيط للحفاظ عليها، وثالثا : إضافة التقنيات الحديثة التي سببت تشوه بصري للمباني التاريخية، والقيام بتوفير خدمات ناقصة مثل البنى التحتية بطرق غير صحيحة التي تسبب ضرر بالمدينة التاريخية، ورابعا : بسبب عوامل التقادم والزمن وعوامل المناخ التي تؤدي الى تدهور حالة المباني التاريخية (Ibid).

ومثال على عدم التعامل الصحيح مع المدن التاريخية هو إعادة توظيف أغلب البيوت في دمشق القديمة كحانات ومقاهي بحيث بدأت المدينة تحمل صورة غير الصورة التاريخية التي كانت تحملها في السابق .

لم يقتصر ظهور قلة الوعي الثقافي في الحفاظ على الأبنية التاريخية إنما طالت المدن التاريخية، مثل مشروع تقويم نهر أبو علي في طرابلس لبنان، إذ قضى هذا المشروع على الكثير من المباني والمعالم مثل القصور والمساجد والحمامات التاريخية ليحل محلهم نفق طويل وطريقين على جانبيه وأبنية عشوائية ومربعاً لكب النفايات، ايضاً تعاني مدينة القاهرة

الفاطمية من غياب الوعي الثقافي حيث توجد مشاكل تتعلق بأزمة السيارات والتمديدات الكهربائية والرطوبة حيث يرتفع الماء الى خمسة أمتار داخل الجدران (عتمة، ٢٠٠٧).

بسبب التغير الذي شهده العالم في علاقات الدول في بداية التسعينات وانجذاب السياح للاماكن التراثية وزيادة الوعي بأهمية المدن التاريخية أصبح الحفاظ على التراث المعماري امراً مهما وضرورياً، فتأسست العديد من المؤسسات واللجان ومراكز للحفاظ على التراث في العديد من المدن بتمويل ودعم خارجي من مؤسسات عالمية مثل منظمة اليونيسكو، والآغا خان، والبنك الدولي، وكانت معظم خطط الحفاظ تعتمد على إشراك المجتمع المحلي واتباع توصيات المواثيق الدولية. وكحالة دراسية من الوطن العربي سلط البحث الضوء على مدينة دمشق القديمة للتعرف على تراثها العمراني ومشاريع الحفاظ بداخلها.

١٠. مدينة دمشق القديمة

مرت المدينة بعدة فترات منذ نشأتها، حيث تظهر الأبحاث التاريخية بأن مدينة دمشق القديمة من المدن الأولى التي ظهرت في منطقة البحر المتوسط، كانت المدينة تعتمد على خيرات نهر بردى، وتشكلت البيوت فيها من الموارد المتاحة بالطبيعة من الحجارة والأخشاب وكانت أساس العمران فيها، بنى مقيموها معبداً في نفس موقع الجامع الأموي اليوم وتجمعت حوله بيوت السكان الذين يقومون بالصناعات اليدوية وأعمال الزراعة والتجارة البسيطة في المحاصيل الزراعة والصناعية، في بدايات الألف الأول قبل الميلاد توسعت المدينة عمرانياً عندما أسس الملك الآرامي "هدد عزر" مملكة دمشق، وقام ببناء أحياء سكنية وتحصين المدينة وشق شوارع المدينة عمودياً، وبسبب موقعها الجغرافي المميز على طريق السواحل بين الجنوب والشمال وبين الداخل والساحل تميزت في ازدهار التجارة، وتنوع الصناعات، ونيل القوة الحربية لمملكة دمشق الآرامية، فصارت المدينة عاصمة سياسية واقتصادية إلى أن سقطت عام ٧٣٢ ق.م على يد الآشوريين، ثم حكم اليونانيين المدينة لمدة أربعة قرون بعد هزيمة إمبراطور فارس على يد الاسكندر المقدوني عام ٣٣٣ ق.م. وتشكلت في الجانب الشرقي بجوار المدينة الآرامية مدينة حديثة انعكس فيها نظام البناء والتخطيط اليوناني، فاتسمت بمساحات للأسواق التي تعرف بـ (الآغورا)، والوحدات السكنية المحاطة بشوارع مستقيمة، فأصبحت المدينة تملك طرازين مختلفين بين قسم تسوده الأحياء العشوائية وقسم تسوده الأحياء المنظمة، وفي الحالتين كان أسلوب البناء يعكس احتياجات السكان وتلبية ثقافتهم، في عام ٦٤ ق.م تم تخطيط المدينة بشكل هندسي منتظم عندما حكم الرومان المدينة وعرفوا أهمية دمشق.

بسبب الازدهار والتوسع ازداد عدد سكان المدينة فكان لابد من تحصينها وبناء سور حجري يحيط بها ويحتوي على ٧ أبواب باتجاه الجهات الأربعة، وتم شق شارع مستقيم

بطول ١٦٠٠م، واعيد بناء المعبد بشكل يتناسب مع الطراز الروماني، بقي المظهر الروماني سائدا في المدينة حتى عند حلول العهد المسيحي البيزنطي الا انهم انشئوا عدة كنائس وفقا للطرز البيزنطية وقاموا بنهايات القرن الرابع الميلادي بتحويل معبد جوبيتر الى كنيسة يوحنا المعمدان، في عام ٦٣٥م، فتح المسلمون مدينة دمشق، وبنوا الجامع الاموي الذي يعتبر من أضخم المشاريع المعمارية التي عرفتها بلاد الشام، وانطلقوا بتوسيع العمران فيها الى خارج السور في جميع الاتجاهات، إلا أن ضعفت الدولة الاموية وتولت الخلافة العباسية الحكم وتشوهت أحياء المدينة وأسوارها ، وتأثرت بالحرائق والزلازل التي تعرضت لها، هذه العوامل أدت الى انفصال أحياء دمشق القديمة وقيام أبواب وحواجز بينها، وتغيير بتخطيط الشارع المستقيم الروماني ليصبح شارع ضيق مكشوف ومنحرف تملئه الأحياء السكنية والأسواق الصغيرة، شهدت المدينة نهضة اقتصادية وثقافية وعمرانية في العهد السلجوقي والايوبي، فانعكس الاهتمام في التصميم المعماري الحربي من خلال الاعمال التي أقيمت مثل بناء قلعة دمشق وعدة أبراج على سور المدينة والاهتمام بالمنشآت العسكرية، وتعرضت المدينة لمأساة عمرانية عام ١٢٦٠ م بعد غزو المغول، إلا أن المماليك من حكام مصر أعادوا مكانة دمشق بعد انتصارهم على المغول بحيث لم يبقَ متسع لبناء أبنية جديدة بسبب الازدهار والعمران الذي قاموا به ، وبدأت الأسواق بالتوسع وبناء الأبنية في الاحياء والضواحي، أما العهد العثماني فتميز ببناء الحمامات والخانات داخل دمشق القديمة وبناء الأبنية خارج حدودها مع توسعة الأنشطة التجارية والحرفية خارجها، في عام ١٨٣٢م الى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٨ م ودخلت دمشق فترة المدينة المعاصرة الأولى، وأقيم بها عدة مشاريع كبناء خان أسعد باشا، وفتح الشارع المستقيم الروماني، وتوفير شوارع لتنقل المركبات داخلها والقيام بسوق الحمدية في نفس موقع الخندق الجنوبي لقلعة دمشق الذي جرى طمره.

وفي المرحلة الثانية بسبب الاحتلال الفرنسي عام ١٩٢٠، انتقلت الحداثة الى المناطق المحيطة بدمشق القديمة التي تقع خارج السور، فأقيمت المديريات الحكومية والمؤسسات والابنية الحديثة. هذا التطور الذي أدى الى اهمال المدينة القديمة وإعادة البناء باستخدام المواد الحديثة التي سببت تشوه في المظهر التاريخي لها (الصيداوي، ٢٠٠٥).

كانت الأعمال داخل المدينة القديمة تتم بشكل عشوائي لغياب الأنظمة، فكان قرار رقم ١٠٢٩ بتاريخ ١٩٦٩م أول قرار يخص اعمال البناء وسمح بتسوية المخالفات، وفي عام ١٩٧٢م صدر القرار ٩٧ كأول نظام بناء لدمشق القديمة يمنع البناء والهدم داخل أسوار المدينة القديمة وفي نفس العام وقعت الجمهورية العربية السورية على اتفاقية حماية التراث العالمي، وبعد هذه المصادقة صدرت عدة قرارات تخص حماية المدينة القديمة، وبسبب

ادراج دمشق القديمة على لائحة التراث العالمي عام ١٩٧٩م تم تشكيل لجنة لحماية المدينة القديمة وافتتاح مكتب فني لها، وصدر نظام بناء المدينة القديمة في عام ١٩٨٦م الذي تم تعديله عدة مرات لمواجهة المشكلات التي ظهرت وصولاً الى القرار الصادر رقم ١٢١٧ عام ٢٠١١ نظام البناء الخاص بالمدينة القديمة والشرائح الاثرية، بحيث تخضع جميع العقارات في المدينة القديمة لقانون الآثار رقم ٢٢٢ الصادر في عام ١٩٦٣ وتعديلاته وأحكام نظام البناء.تقع مسؤولية الحفاظ على دمشق القديمة وفقاً لقانون الآثار لعالم ١٩٦٣ وتعديلاته على عاتق وزارة الثقافة والمجلس الأعلى للآثار والمديرية العامة للآثار والمتاحف التي تتدرج تحتها عدة مديريات، وتكون هذه السلطات الأثرية مسؤولة عن تسجيل واختيار المعالم الأثرية وتوفير منطقة عازلة للموقع المسجل وإعطاء الموافقات على المشاريع المرتبطة بالحفاظ على الموضع فضلاً عن ضوابط أنشطة البناء، أما الجهة المسؤولة من الناحية التنفيذية في المدينة القديمة فهي محافظة دمشق بمديرياتها المتعددة بشكل مباشر أو غير مباشر إما عبر اللجان التي عليها حماية المدينة القديمة أو عبر التدرج الإداري للعمل (برنامج تحديث الإدارة البلدية، ٢٠١٠).

١١. مشاريع الحفاظ في مدينة دمشق القديمة

للحفاظ على دمشق القديمة هناك عدة مشاريع فيها وهي كالآتي :

أولاً: مشروع دمشق القديمة بدون سيارات إذ قامت محافظة دمشق بتنظيم مشروع يهدف للحفاظ على النسيج البيئي والعمراني والتاريخي في المدينة القديمة، وهو مشروع دمشق القديمة بدون سيارات الذي سيتم على مراحل، فكانت المرحلة الأولى بتاريخ ٢٠١٩/١٢/١٤ نشاط (دمشق القديمة بدون سيارات) الذي استمر من الساعة ١٠ صباحاً حتى ٦ مساءً، والذي يعد تجربة أولية في خطة مستقبلية لتقييد دخول السيارات إلى المدينة القديمة، والخطوة الثانية كانت في ٢٠٢٠/٥/١٩ بحيث جرى منع وقوف السيارات يوم الجمعة والسبت لمدة شهر في محاور معينة في مدينة دمشق القديمة من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة التاسعة مساءً ، والخطوة الثالثة في ٢٠٢١ بدأت محافظة دمشق بتسجيل عدد سيارات القاطنين والمناطق التي يركنون بها وإعطائهم لاصقات للسيارات حسب عناوين منازلهم ليتمكنوا من دخول المدينة القديمة بالسيارة والمبيت فيها، أما الزوار فيتمكنون من الوقوف في المرائب المحيطة واستخدام وسائل النقل البديلة في المدينة القديمة، وكانت هذه المبادرة لتنظيم حركة المرور وتنظيم وقوف السيارات داخل المدينة القديمة، وستكون المرحلة الرابعة هي تطبيق العملية بعد الانتهاء من تنفيذ المرائب المحيطة بدمشق القديمة (مازن فرزلي، مقابلة عبر راديو نينار، ٢٠٢١/١/٢٨).

ثانياً: مشروع ترميم بيت القوتلي، وبيت السباعي، وبيت نظام حيث تم اختيار هذه البيوت الدمشقية ضمن خطة ترميم كبيرة تقوم شبكة الآغا / خان للتنمية بتمويلها، وتتراوح أعمار هذه البيوت بين قرنين وثلاثة قرون وكانت مملوكة من قبل عائلات دمشقية عريقة إلى أن اشترتها السلطات السورية عام ١٩٧٤م، ومنذ ذلك الحين، على الرغم من استخدامها مؤقتًا كمواقع تصوير أو لحفلات الاستقبال والمناسبات البارزة، فقد تدهورت إلى حد الانهيار بسبب نقص الصيانة والاستعمال، فجرى ترميم البيوت الثلاثة وفقاً لأسس المعايير الدولية وتم إعادة توظيفهم كفندق كما هو موضح بالشكل (٣)، وأتاح المشروع الفرصة للمتدربين السوريين ليتعلموا مهارات جديدة وليشاركوا في المشروع مع الخبراء المحليين والعالميين.
(ARCHNET, 2011)

شكل (3)يظهر بيت القوتلي خلال اعمال الترميم والتدخل
المصدر(ARCHNET, 2009):

ثالثاً: مشروع ترميم سوق مدحت باشا، حيث جرت إعادة فك حجر اللبون وتنظيفه ورصفه من جديد، وترميم واجهات السوق واستبدال الأغلاق المعدنية التي كانت تغطي الأقواس الحجرية وتشوه المنظر العالم واستبدالها بأبواب خشبية، وتبديل وإصلاح المندلونات الحديدية بأخرى تلائم ما يوجد في السوق، وتغيير السقف المصنوع من الحديد والتوتياء والذي يتميز بثقوبه العديدة كما هو موضح بالشكل (٤) بسقف معدني جديد كما هو موضح بالشكل (٥).

شكل (4)سوق مدحت باشا عام 1989، ويمكن ملاحظة السقف المعدني المليء بالثقوب التي احدثتها رشقات الرصاص خلال الثورة السورية

المصدر):الشهابي، .(1990

شكل (٥) سوق مدحت باشا عام ٢٠٢١
المصدر:(بعدسة الباحثون، ٢٠٢١).

رابعاً: مشروع توثيق دمشق القديمة باستخدام الطائرات المسيرة سنة ٢٠١٦ كما هو موضح بالشكل (٦)، قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف – دائرة آثار دمشق مع جهات شريكة أخرى على المستوى الميداني ومنها جامعة بيل ومشروع أنقا المشترك بين منظمة الإيكوموس وشركة سيارك ومكتب إيكونيم الهندسي الفرنسي بالعمل على المشروع، ويهدف المشروع الى توثيق الشرائح والمباني التاريخية في مدينة دمشق القديمة من خلال استخدام التقنيات الحديثة التي ستقوم بتوفير وثائق علمية مهمة (dgam، ٢٠١٦) ، والعمل على مشروع إضافي كمبادرة إضافية لإزالة دمشق القديمة عن لائحة التراث العالمي المهدد بالخطر في ٢٠٢١ وهو توثيق سور دمشق في المنطقة بين باب توما وباب السلام، ودراسة عمرانية شاملة ل ١٦٦ عقاراً وتوثيقهم بالكامل مع صور واستبيانات ومخططات (خليل، ٢٠٢١).

بعد التعرف على بعض مشاريع الحفاظ في دمشق القديمة، كان لابد من وضع عدة معايير لتقييم المشاريع لمعرفة مدى توافقها مع مبادئ وتوصيات المواثيق والمعايير الدولية.

شكل (٦) يظهر توثيق المباني التاريخية في دمشق القديمة باستخدام الطائرات المسيرة

١٢. معايير التقييم لمشاريع الحفاظ المعتمدة في هذه الدراسة

هنالك الكثير من المشاريع الناجحة في الوطن العربي للحفاظ على المدن والأبنية التاريخية فكان لابد من دراسة حالات دراسية مشابهة لدمشق القديمة من الناحية الاجتماعية والثقافية والمعمارية، كتجربة إعادة إحياء البلدة القديمة في القدس، وفلسطين وتجربة إعادة إحياء طرابلس القديمة في لبنان، للتعرف على الحلول والخطط والبرامج المتبعة للحفاظ على المدن التاريخية، ومن خلال تحليل تجارب الدراستين تم التوصل إلى عدة نتائج ومعايير يجب اتباعها للحفاظ على المدينة التاريخية ودمجها مع بنود المواثيق والمعايير الدولية والتوصل إلى ١٣ معيار للتقييم كالآتي ؛

(١)الحفاظ على العلاقة بين المدينة القديمة ومحيطها.

(٢) الوصول والفهم.

(٣) الوظائف التاريخية داخل المدينة القديمة .

(٤) التحكم بحركة المرور في المنطقة التاريخية .

(٥) وعي الزوار والسكان عن أهمية التراث .

(٦) تعدد الاختصاصات والتعاون .

(٧) الأدوات المالية التي تدعم التنمية الابتكارية وبناء القدرات .

(٨) القيام بأعمال الصيانة والترميم والمراقبة بصورة دورية ومستمرة .

(٩) إعادة استخدام المعالم .

(١٠) احترام المادة الأصلية وتمييز الأجزاء المضافة .

(١١) إدارة المدينة التاريخية .

(١٢) الأعمال الخدمية .

(١٣) التوثيق .

١٣. تقييم بعض مشاريع الحفاظ من منظور المواثيق الدولية وفق المعايير المعتمدة

تم تقييم أعمال الحفاظ في دمشق القديمة وفقا لمبادئ وبنود عدة مواثيق ومعايير دولية ذكرناها سابقاً مرتبطة بمعايير التقييم، كالمادة (٤ و٦) من ميثاق البندقية ١٩٦٤، والمادة (٨) من ميثاق بورا ٢٠١٣، والمبدأ الأول من ميثاق إيكوموس حول تفسير مواقع التراث الثقافي وعرضها ٢٠٠٨. ومن المشاريع التي تم تقييمها مشروع المسارات السياحية، ومشروع لوحات الدلالة السياحية والخرائط، وعلاقة المدينة القديمة بمحيطها، والوظائف التاريخية في المدينة القديمة، ووعي الزوار والسكان بأهمية التراث، ومشاريع الصيانة، والترميم، والمراقبة.

أولاً: معيار الحفاظ على العلاقة بين دمشق القديمة ومحيطها؛ تعد المناطق التي تقع خارج السور محيط المدينة القديمة، إلا أن العديد من الأحياء خارج السور تمتلك نفس تاريخ البناء

كداخل السور وتعد استمرار لنسيج المدينة القديمة وليست مناطق انتقالية، لكن يحيط اليوم بالمدينة القديمة استعمالات متناقضة للأحياء ومختلفة كمناطق سكنية سيئة ومكبات للنفايات ومقابر وأراض فارغة ومناطق تجارية، فنلاحظ من خلال التحليل أنه يوجد عدم استمرارية للنسيج بين داخل السور وخارجه، وذلك يتعارض مع المادة ٦ من ميثاق البندقية (١٩٦٤) التي تنص على أنه يجب الحفاظ على المحيط التقليدي الخارجي وأن لا يُسمح بأي أعمال هدم أو تعديل أو بناء جديد يمكن أن يغير علاقات الألوان والكتل، ومع المادة ٨ من ميثاق بورا (٢٠١٣) التي تنص على أنه لابد من الحفاظ على المحيط الحسي والبصري والارتباطات الثقافية والروحية التي تساهم في فهم الدلالة الثقافية للمكان، وأي أعمال هدم أو تغييرات يمكن أن تؤثر على المحيط هي أعمال غير ملائمة، ومع ميثاق واشنطن (١٩٨٧) الذي ينص على أنه يجب الحفاظ على العلاقة بين المدينة التاريخية ومحيطه، ومع مبادئ فالتيا لصون المدن والحواضر والمناطق الحضرية التاريخية وادارتها (٢٠١١) الذي ينص على أنه يجب النظر الى المدن التاريخية ومحيطها بنسيج متماسك يعتمد توازنه على اندماج عناصره كافة ، ويجب أن يكون صونها جزء لا يتجزأ من الفهم العام للبنية العمراني وبيئتها التي تتطلب سياسات تنمية اجتماعية واقتصادية مترابطة، ومع البند الخامس من توصيات اليونيسكو المتعلقة بحماية المناطق التاريخية لعام ١٩٦٧ م الذي ينص على أنه يجب على المصممين والمعماريين أخذ الحذر من المشاريع العمرانية الحديثة المجاورة للمدينة التاريخية حيث ممكن أن تؤثر على المناظر والمباني في المناطق التاريخية.

ثانياً: معيار الوصول والفهم؛ لتسهيل حركة السياح والزوار وللتعرف على جميع الأوابد الأثرية والأبنية المهمة في المدينة القديمة قامت محافظة دمشق ووزارة السياحة بالتعاون مع وزارة الإدارة المحلية بتنفيذ لوحات الدلالة السياحية والخرائط في ٢٠١٠ كما هو موضح في الشكل (٧)، والعمل على مشروع المسارات السياحية التي تسمح للزائر الوصول الى أماكن مختلفة في المدينة القديمة كما هو موضح في الشكل (٨)، كالمسار الشامل الذي يركز على المعالم المهمة من الفترة الآرامية الى اليوم، ومسار الأسواق التقليدية الذي يركز على جميع أسواق المدينة القديمة سواء الأسواق التقليدية المغطاة أو المفتوحة، و مسار الزيارة القصيرة يركز على اهملال المباني والمعالم في دمشق القديمة التي يمكن زيارتها بوقت قصير ، والمسار الكلاسيكي الذي يركز على عرض فترات مختلفة أثرت و مرت على المدينة كالفترة اليونانية والرومانية والهلنستية، والمسار الروحاني الذي يركز على الأبنية الدينية الإسلامية والمسيحية في المدينة القديمة (برنامج تحديث الإدارة البلدية، ٢٠١٠). ايضاً من خلال زيارة الباحث الى المدينة القديمة لاحظنا أنه تم وضع أرقام للمنازل ولوحات إرشادية تدل على اسم الحي وسبب تسميته كما هو موضح في الشكل (٩).

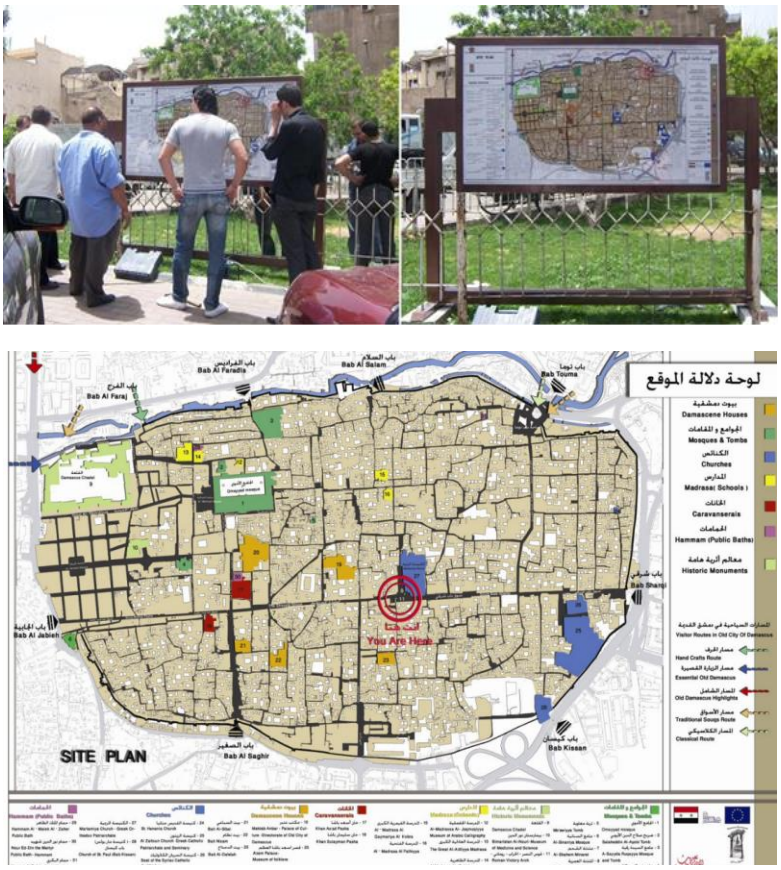

شكل (7) يظهر لوحة دلالة الموقع في دمشق القديمة

المصدر :برنامج تحديث الإدارة البلدية،.(2010

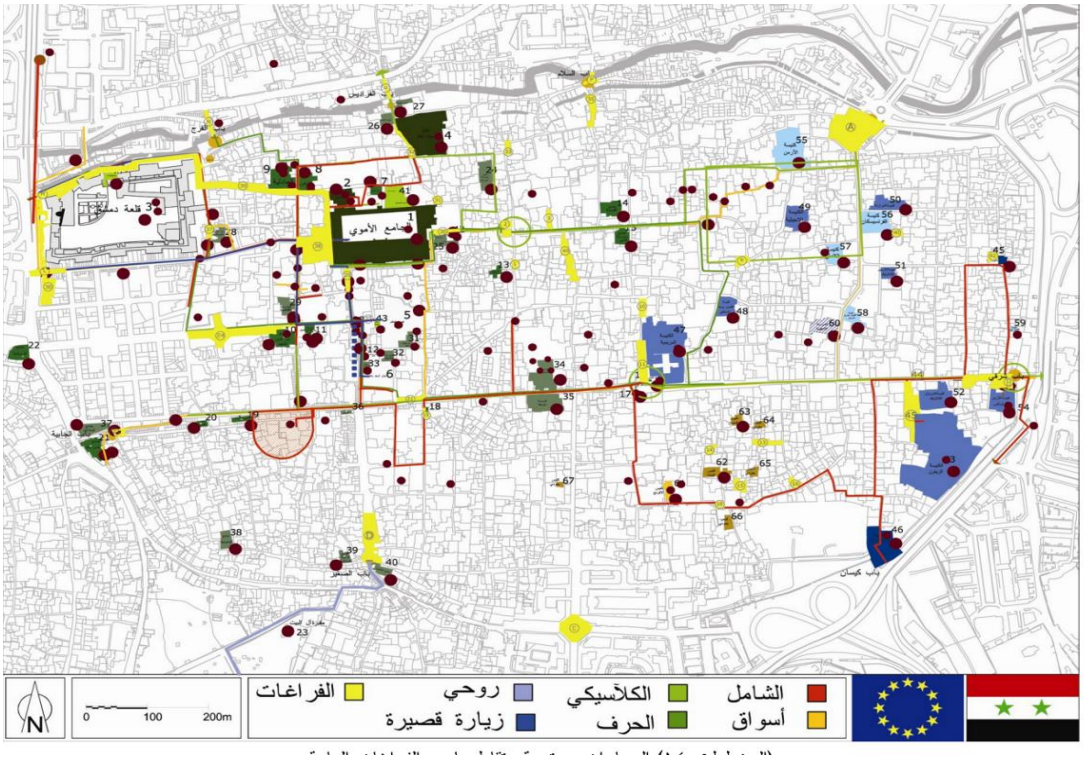

شكل (8) مشروع المسارات السياحية في دمشق القديمة

المصدر: برنامج تحديث الإدارة البلدية، ٢٠١٠).

شكل (9) يظهر اللافتات الارشادية في دمشق القديمة

المصدر:(بعدسة الباحثون، ٢٠٢١).

هذه المشاريع وطرق التفسير والعرض في دمشق القديمة تتماشى مع المبدأ الأول (الوصول والفهم) لميثاق الإيكوموس حول تفسير مواقع التراث الثقافي وعرضها (٢٠٠٨) الذي ينص على أن برامج التفسير والعرض يجب أن تسهل من وصول الجمهور فكريا وفيزيائيا الى مواقع التراث الثقافي

ثالثاً: معيار الوظائف التاريخية داخل المدينة القديمة؛ مازالت الأسواق التاريخية في دمشق القديمة قائمة الى اليوم و تعد مركزا للحرف والصناعات التقليدية، إلا أنه توجد بعض الحرف والصناعات التي اندثرت كسوق الحرير كان سابقا يتم فيه تجارة الحرير لكن لاحقا نُقلت من موقعها الى سوق خان الجمرك وحل مكانها بيع كلف الخياطة ولوازمها، وسوق القلبقجية الذي كان يصنع فيه غطاء الرأس الأسود ويشبه الطربوش في العصر العثماني ثم تحول الى محلات لبيع الأقمشة بعد اندثار المهنة، وسوق السلاح الذي كان يُصنع فيه الأسلحة البيضاء وتباع به قبل اندثار المهنة، وسوق القباقبية الذي كان يتم فيه صناعة القباقيب لكنه اليوم فقد تخصصه وأصبح يُباع فيه الشرقيات والأدوات المنزلية التي يصنعها الخراطون من الخشب، أما من الأسواق التي حافظت على وظائفها التاريخية: سوق الصاغة الذي تباع فيه الحلي المصنوعة من الفضة والذهب وسوق البزورية الذي يعرف أيضا بسوق العطارين نسبة لبيع العطور فيه، وسوق مدحت باشا الذي يعد من الأسواق التخصصية لبيع الملبوسات الشعبية والأقمشة وسوق الخياطين الذي تباع فيه لوازم التطريز والخياطة وسوق الحميدية الذي تباع فيه الشرقيات والملبوسات والأقمشة، كما تم الحفاظ على بعض المهن والحرف اليدوية القديمة وبيعها كما هو موضح في شكل (١٠)، كالحفر على النحاس والموزاييك

والفخار والزجاج اليدوي والاغباني والبروكار والعجمي الشامي وتصنيع البسط وتصنيع العبي والصدف على الرغم من تقلص عدد ورش الصدف الى ثلاث أو أربع ورش فقط بعد أن كانت ثلاثين ورشة. على الرغم من اندثار بعض الحرف والأسواق التقليدية إلا أنه تم الحفاظ على العديد من الأسواق والحرف والوظائف التي اكتسبتها المدينة التاريخية عبر الزمن وهذا يتوافق مع ميثاق واشنطن ١٩٨٧ ومبادئ فالتيا لصون المدن والحواضر والمناطق الحضرية التاريخية وادارتها ٢٠١١ الذين ينصون على انه يجب الحفاظ على الوظائف التي اكتسبتها المدينة التاريخية عبر الزمن.

شكل (10)يظهر بيع الحرف اليدوية في دمشق القديمة

المصدر):بعدسة الباحثون، .(2021

رابعاً: معيار وعي الزوار والسكان عن أهمية التراث؛ لاحظنا خلال الزيارة الميدانية لدمشق القديمة أنه يوجد قلة وعي لدى السكان والزوار بأهمية المدينة القديمة وأبنيتها، فنلاحظ في المدينة القديمة تشوه بصري ملحوظ مثل الكتابة على الجدران كما هو موضح بالشكل (١١) والصاق النعوات وتمزيقها، ورمي الأوساخ ، على سبيل المثال أطلال معبد جوبيتر تملؤها الإعلانات والنعوات . الذي يحصل في دمشق القديمة يتعارض مع ميثاق أثينا ١٩٣١ الذي ينص على انه يجب زيادة التوعية الجمهورية بأهمية الحفاظ على التراث.

خامساً: معيار القيام بأعمال الصيانة والترميم والمراقبة بصورة دورية ومستمرة ؛ تفتقر المدينة القديمة الى أعمال الصيانة بشكل ملحوظ، إذ يوجد عدد كبير من المباني حالتها الفيزيائية تحت المستوى كما هو موضح بالشكل رقم (١٢) و (١٣) ، كما تقدر المباني الآيلة للسقوط أو المتهدمة بنسبة ١٩% من مجمل مساحة المدينة القديمة وأعلى نسبة في حارة اليهود ٢٦% والقيمرية ٢٣% وحسب الاستبيان الذي تم إجراؤه في ٢٠٠٧ و٢٠٠٨ من قبل برنامج تحديث الإدارة البلدية أن هذه الأسباب ١٠-١٢% بسبب الفقر و٣٠-٤٠%

بسبب نقص التمويل أو صعوبات تشريعية، كما توجد هنالك مشاكل متعلقة بالسكان حيث لا يقومون بالالتزام بقوانين حماية المدينة ونظام البناء و القيام بأعمال إضافية ليست مذكورة في نوع الترخيص الصادر والقيام بأعمال ترميم دون أخذ التراخيص اللازمة الصادرة من اللجان المختصة هروباً من إجراءات الترخيص واستخدام مواد حديثة كالبلوك والاسمنت لارتفاع سعر المواد التقليدية. (برنامج تحديث الإدارة البلدية، ٢٠١٠).

شكل (١١) يظهر الكتابة على جدار قلعة دمشق

المصدر:(بعدسة الباحثون، ٢٠٢١).

شكل (12)يظهر مبنى حالته متدهورة في دمشق القديمة

المصدر):بعدسة الباحثون، .(2021

شكل (13)يظهر مبنى آيل للسقوط في دمشق القديمة
المصدر):بعدسة الباحثون، .(2021

كما تتعرض سلامة وأصالة المبنى الموضح أدناه للخطر بشكل كبير بسبب الأعمال الخاطئة للحفاظ على البناء الحجري، والعديد من الإضافات غير المتسقة الحديثة المبنية بالكتل الخرسانية وغيرها من المواد غير المناسبة، والنقص الكلي للصيانة، فضلا عن تفاقم الحالة الهيكلية بسبب التنفيذ الأخير لنظام الصرف الصحي الجديد على طول ضفاف نهر بردى (UNESCO، ٢٠٠٨).

في عام ٢٠١٩ انهار جزء من سور المدينة القديمة في المنطقة الواقعة بين باب السلام وباب توما حيث انهار جزء بطول ١٠ م وارتفاع ٥م مع جزء كبير من الملاط الداخلي التقليدي، ويمكن تفسير سبب الانهيار عدة عوامل أولا قلة أعمال الصيانة والترميم ومراقبة التغيرات الهيكلية التي حدثت خلال سنوات الأزمة التسعة، كما أظهر انهيار الحائط الجزئي الرطوبة الشديدة والتآكل في الملاط الداخلي وفقدان خصائصه الإنشائية، وتضخم الجدار في المساحة المجاورة للمساحة التي انهارت، واحتمال سقوطها بمرور الوقت، أيضا تضررت شبكة الصرف الصحي في الحي المجاور للجدار مما أدى إلى تسرب المياه داخل الأسوار وصولاً إلى مستوى الأساسات (Directorate General of Antiquities & Museums، ٢٠٢٠)

كما شهدت المدينة القديمة اندلاع عدة حرائق سببها مادة البناء الخشبية في دمشق القديمة والتماس كهربائي ناتج عن عشوائية تمديدات الكهرباء الشكل يوضح التمديدات الكهربائية العشوائية في دمشق القديمة كما هو موضح بالشكل (١٤).

شكل (١٤) يظهر أسلاك الكهرباء العشوائية في دمشق القديمة
المصدر:(بعدسة الباحثون، ٢٠٢١).

نلاحظ أن المدينة القديمة تفتقد الى أعمال الصيانة الدائمة لأن انهيار المباني وتصدعها نتيجة تراكمات عبر السنين وذلك يتعارض مع المادة ٤ من ميثاق البندقية ١٩٦٤ التي تنص على أنه يجب الحفاظ على المعالم وصيانتها بشكل دائم ومع ميثاق واشنطن ١٩٨٧ الذي ينص على أنه يجب القيام بأعمال صيانة بصورة دورية ومستمر.

النتائج والتوصيات

توصل الباحثون إلى عدة نتائج أهمها؛ ان معيار وعي الزوار والسكان عن أهمية التراث والقيام بأعمال الصيانة والأعمال الخدمية لا تتوافق كثيرا مع المعايير الدولية ويعد توافقها مع المعايير الدولية ضعيف وتحتاج إلى المزيد من التركيز عليها و لا توجد مشاريع كافية لتعزيزها، أما معيار الحفاظ على العلاقة بين المدينة القديمة ومحيطها وتعدد الاختصاصات والتعاون والأدوات المالية وإعادة الاستخدام واحترام المادة الاصلية وإدارة المدينة التاريخية يعتبر توافقها في الوقت الحالي متوسط مع المعايير الدولية بسبب الجهود التي يتم بذلها الآن ولم تكن فعالة سابقا، كتدبير موارد مالية للقيام بأعمال حفاظ في دمشق القديمة، وتوقيع اتفاقية بين جامعة دمشق ومديرية مدينة دمشق للتعاون على القيام بأعمال حفاظ في دمشق القديمة ، أما معيار الوظائف التاريخية داخل المدينة القديمة والوصول والفهم و التحكم بحركة المرور والتوثيق تعد جيدة ومتوافقة نوعا ما مع المعايير بسبب المشاريع المخطط لها كدمشق القديمة بدون سيارات ومشاريع التوثيق لدمشق القديمة والحفاظ على الوظائف

التاريخية. وتوصل الباحثون الى عدة توصيات أهمها؛ ضرورة العمل على تحقيق انسجام بين داخل أسوار المدينة القديمة ومحيطها، و القيام على تطوير السياحة الثقافية والدينية، وتأمين عوامل السلامة والأمان في المباني للحد من الكوارث، والاستفادة من التجارب العالمية والعربية كالتي ذكرناها سابقاً ومشاريع التعاون الدولي في تأهيل المدن القديمة، وتوفير بناء مواد تقليدية بأسعار مناسبة، وتطوير قانون الآثار الحالي والتركيز على نقطة إشراك المجتمع المحلي، و تسهيل إجراءات الحصول على تراخيص الترميم ، واعتماد أسلوب الأرشفة الرقمية ، ونشر التوعية المعيشية لسكان أحياء دمشق القديمة ومحيطها، وتطوير الخبرات المحلية عن طريق الورشات التدريبية، وإعطاء أهمية كبيرة لمداخل دمشق القديمة من مختلف الجهات لأن لها دور كبير في تحسين استمرارية نسيج المدينة بين الداخل والمحيط، ودراسة محيط المعلم قبل القيام بأعمال إعادة التوظيف، وإشراك المجتمع المحلي في عمليات الترميم والحفاظ لزيادة الوعي بأهمية المناطق التاريخية، والربط بين المديرية الأساسية والمديريات الفرعية لتسهيل العمل والتواصل ، وتطوير البنى التحتية والأعمال الخدمية ، واستخدام التكنولوجيا لعرض المكان وتفسيره عن طريق إضافة رمز شريطي يمكن مسحه من خلال الهاتف لعرض خريطة الموقع ، وضرورة وضع خطة إحياء شاملة ومتكاملة مبنية على المعايير الدولية.

المصادر

١. الزهراني، عبد الناصر. (٢٠١٢). إدارة التراث العمراني. الرياض: الجمعية السعودية للدراسات الأثرية.
٢. الشهابي، قتيبة. (١٩٩٠). أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية. دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
٣. الصيداوي، رياض. (٢٠٠٥). مدينة دمشق القديمة (دراسة في العلاقات المتبادلة بين النمط العمراني والنشاط الاقتصادي). رسالة دكتوراه منشورة، جامعة دمشق، سوريا.
٤. المحاري، سلمان. (٢٠١٧). حفظ المباني التاريخية -مبانٍ من مدينة المحرق. إمارة الشارقة، المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية.
٥. المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافيةICCROM . (٢٠١٩). المواثيق الدولية لحفظ وترميم المعالم والمواقع التاريخية. الشارقة: الإمارات العربية المتحدة.
٦. برنامج تحديث الإدارة البلدية. (٢٠١٠). المخطط المتكامل للحفاظ والتنمية في مدينة دمشق القديمة-الأطلس. دمشق: وزارة الإدارة المحلية وبعثة المفوضية الأوروبية في دمشق.
٧. جوهر، رنا. (٢٠١٦). متطلبات التطوير العمراني للأحياء التاريخية لتحقيق التنمية المستدامة (حالة دراسية حي السفاحية - مدينة حلب القديمة). رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة حلب.
٨. خليل، ميس. (٢٠٢١). مساع حثيثة لإزالة دمشق عن لائحة التراث المهدد بالخطر. صحيفة البعث. تم الاطلاع عليه في ٢٠٢١/٠٨/٠٥م. رابط الموقع: مساع حثيثة لإزالة دمشق عن لائحة التراث المهدد بالخطر - جريدة البعث (sy.albaathmedia)
٩. صور من دمشق. (٢٠١٧). خريطة لمدينة دمشق القديمة توضح أهم المعالم الأثريّة فيها. تم الاطلاع عليه في ٢٠٢١/١١١١م. رابط الموقع: صور من دمشق: خريطة مدينة دمشق (com.blogspot.damascusgallery)
١٠. عتمة، محمد. (٢٠٠٧). إعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين "حالة دراسية: تجربة مدينة نابلس منذ عام ١٩٩٤". رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
١١. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. (٢٠١١). التوصية الخاصة بالمناظر الحضرية التاريخية. باريس: فرنسا

12. ARCHNET. (2009). Beit Quwatli Restoration. Retrieved October 11, 2020, from https://archnet.org/sites/6418/media_contents/76452
13. ARCHNET. (2011). Nizam House Restoration. Retrieved October 1, 2020, from Archnet
14. Dgam. (2016). *Commencement of a project to documenting the old city of Damascus using a drone.* Retrieved November 1, 2020, from الرئيسية الصفحة - antiquities & musums (dgam.gov.sy)
15. Directorate General of Antiquities & Museums. (2017). *STATE PARTY REPORT*. Syria: dgam.
16. Directorate General of Antiquities & Museums. (2018). *STATE PARTY REPORT*. Syria: dgam.
17. Directorate General of Antiquities & Museums. (2019). *STATE PARTY REPORT*. Syria: dgam.
18. Directorate General of Antiquities & Museums. (2020). *STATE PARTY REPORT*. Syria: dgam.
19. Feilden, Bernard. (2003). *Conservation of historic buildings (3 rd. ed.).* Elsevier: UK.
20. UNESCO. (1979). *Ancient City of Damascus.* Retrieved September 26, 2020, from Ancient City of Damascus - UNESCO World Heritage Centre
21. UNESCO. (2008). *Mission report- Ancient City of Damascus (Syrian Arab Republic).* Thirty-second session, Paris.